دور اللّسانيات النّصية في تعليمية الترجمة

كهينة توات

جامعة مولود معمري – تيزي وزو- الجزائر

kahina-inter@hotmail.fr

تاريخ الاستلام: 2019/05/01 تاريخ القبول: 2019/06/17

الملخّـص

مـما لا ريـب فيـه أن العولمـة تمخضـت عـن طلـب متزايـد عـلى الترجمـة لنقـل العلـوم والتكنولوجيـا، الأمـر الـذي دفـع الباحثـين إلى الاهتـمام بهـذه الممارسـة والبحـث في مسـارها وتقنياتهـا ومناهجهـا، لاسـيما مـع إدراجهـا في التعليـم الجامعـي، غـير أنـه تُعتمَـد عـدة مناهـج في تدريـس الترجمـة في المرحلـة الجامعيـة، لـذا ارتأينـا أن نخصّـص هـذا البحـث لتقـصّي أحـد هـذه المناهـج المتمثلـة في اللّسـانيات النّصيـة، وتهـدف هـذه الدّراسـة إلى إبـراز كيفية اسـتثمار اللسـانيات النصيـة في تعليميـة الترجمـة ومعرفـة إلى أي مـدى يمكـن أن تخدمهـا.

الكلمات المفاتيح:

لسـانّيات نّصيـة - تعليميـة الترجمـة - مجـال الخطـاب - نـوع الخطـاب - مشـتركون في الخطـاب.

المؤلف المراسل: كهينة توات، البريد الالكتروني: kahina-inter@hotmail.fr

Rôle de la Linguistique Textuelle en Didactique de la Traduction

Résumé

La mondialisation a incontestablement entrainé une demande croissante sur la traduction afin d'assurer le transfert de la science et de la technologie, ce qui a conduit les chercheurs à étudier cette pratique et à en examiner le processus, les procédés et les modèles, notamment avec son incorporation dans les programmes universitaires. Toutefois, de nombreux modèles sont adoptés dans l'enseignement de la traduction, c'est pourquoi, nous avons jugé utile de consacrer cette recherche à l'étude de l'un de ces modèles, à savoir la linguistique textuelle. Cette étude tend à démontrer comment la linguistique textuelle pourrait être exploitée en didactique de la traduction et dans quelle mesure elle pourrait la servir.

Mots clés:

Linguistique textuelle - didactique de la traduction - champs - mode - teneur.

Role of Textual Linguistics in Didactics of Translation

Abstract

Undoubtedly, globalization has resulted in an increasing demand on translation to transfer sciences and technology, which led scholars to consider this practice and investigate its process, procedures and models, especially with its integration in the curricula. However, many models are adopted in translation teaching at university, this is why we thought it convenient to devote this research to explore one of these models, i.e text linguistics. This study seeks to show how text linguistics can be exploited in the didactics of translation and see to what extent it can serve it.

Keywords:

Text linguistics - didactics of translation - field - mode - tenor.

1. مقدمة

لقد عُرفت الترجمة باعتبارها ممارسة منذ القدم، غير أنه لم تظهر بوادر التنظير فيها إلا في النصف الثاني من القرن العشرين، بفعل تأثرها بالدراسات التي أجريت في حقل اللسانيات، إذ كَرّست هذه جزءًا من أبحاثها للترجمة، غير أن تلك الدراسات اقتصرت على المقارنة بين اللغات على عدة مستويات بغية التعرف على أوجه الشبه والاختلاف بينها، وبالتالي، كانت وحدة الترجمة في إطار هذه المقاربة الكلمة المنفردة والجملة المنعزلة عن السياق، غير أنه مع ظهور اللسانيات النصية، تحوّل الاهتمام من الكلمة أو الجملة إلى النص كوحدة تواصلية.

بناءً على ما تقدم، سنتعرض في هذا المقال إلى تعليمية الترجمة مع تسليط الضوء على أهم المناهج والمقاربات الموظّفة فيها، لننتقل بعدها إلى اللسانيات النصية لنبيّن دورها في الدراسات الترجمية، ولاسيما تعليمية الترجمة.

2. الإشكالية

ما هي أهم النماذج والمقاربات المعتمدة في تعليم الترجمة؟

ما هو دور اللسانيات النصية في تعليمية الترجمة وإلى أي مدى يمكن أن تخدم مدرّس الترجمة ومتعلّمها؟

3. تعليمية الترجمة

يُعرف العلم الذي يُعنى بنظريات الترجمة وتطبيقها بدراسات الترجمة Translation Studies (James HOLMES in VENUTI, 2004 : 176)، ويتفرع إلى فرعين رئيسين هما دراسات الترجمة البحتة pure translation studies ودراسات الترجمة التطبيقية applied translation studies، حيث يهتم الفرع الأول بوصف ظاهرة الترجمة ومسارها، في حين يُعنى الثاني بتعليم الترجمة translation tea-ching ويبحث في مناهج تدريسها ومعايير تقويم جودة الترجمات ومضمون البرامج الجامعية، وسنسعى فيما يأتي إلى تقديم لمحة عن تعليمية الترجمة لنبرز أهم الاتجاهات والنظريات التي أسهمت في تطوّرها وإثرائها.

تعـرف سـعيدة التعليميـة أو الدّيداكتيـك بأنهـا «**علـم نظـري وتطبيقـي يبتعـد عـن البيداغوجيـا، حيـث يركـز عـلى مضامـين التعليـم ويقـترب منهـا كي يتعامـل مـع وضعيات القسـم وتحليلهـا**» (كحيـل، 2009، ص41).

فالأمـر يتعلـق بالمناهـج والطرائـق المعتمـدة في تعليـم مـادة معينـة في الجامعـات ومؤسسـات البحـث العلمـي، غـير أنـه مـن منظـور الباحثـة، يجـب ألا يقتـصر هـذا العلـم عـلى التنظـير وحسـب، إذ لا بـد أن يأخـذ في الحسـبان الممارسـة كذلـك، فالتنظـير وثيـق الصلـة بالتطبيـق، ففـي مجـال الترجمـة، غالبـا مـا تُسـتنبَط إشـكالات الترجمـة واسـتراتيجياتها ومبادئهـا مـن الممارسـة، وخـير دليـل عـلى ذلـك النظريـة التأويليـة للترجمـة التـي أسسـتها دانيكاسيليسـكوفيتش Danica SELESKOVITCH وماريـان لودريـرMariane LEDERER انطلاقـا مـن خبرتهـما في مجـال الترجمـة الشـفوية.

وفيـما يخـص تعليميـة الترجمـة، فتعرفهـا (م.ن: 52) بأنهـا «**تعليـم عمليـة النقـل اللغـوي والمعنـوي لجمهـور متعلمـين لا يتقنـون لغـة أخـرى اتقانـا جيـدا**»، وهـي تـؤدي وظيفتـين تتجليـان أولا في تفسـير قواعـد النحـو الخاصـة باللغـة الأجنبيـة، وفي المراقبـة القائمـة عـلى اقـتراح أو تمارِيـن ترجميـة والتأكـد مـن صحـة النقـل اللغـوي والمعنـوي.

ولقـد وُظِّفـت الترجمـة وسـيلةً لتعليـم اللغـات الأجنبيـة لفـترة طويلـة، لـذا لا تـزال المناهـج المعتمـدة في تعليمهـا قائمـة عـلى المقارنـة بـين اللغتـين المنقـول منهـا والمنقـول إليهـا للتعـرف عـلى مواطـن الاختـلاف والائتـلاف بينهـا، وهـذا أمـر لا يخـدم متعلّـم الترجمـة، ذلـك أنـه بتطبيـق هـذه المقاربـة، يتعـوّد عـلى الترجمـة كلمـة بكلمـة أو الترجمـة حرفيـا متجاهـلا بذلـك السـياق اللغـوي والسـياق الاجتماعـي الـذي أُنتـج فيـه النـص.

غـير أنالتطـور الـذي شـهدته دراسـات الترجمـة خـلال العقديـن الأخيريـن أسـفر عـن تغـيّر أنمـاط تدريـس الترجمـة بتجـاوز المقاربـات اللغويـة البالية، ومـع ذلك تبقـى بعضها خاضعـة للذاتيـة نظـرا لغيـاب نظـرةٍ موحّـدة قائمـة عـلى أسـس علميـة في الأوسـاط الأكاديميـة، لاسـيما في الوطـن العـربي، وهـذا مـا ذهـب إليـه محمـد شـاهين (1998:

5) إذ يقول: «**كان هناك بعض المحاولات لوضع مناهج لتعليم الترجمة في المرحلة الجامعية الأولى في الجامعات العربية ولكن «الفردية» كانت هي الصفة السائدة لتلك المناهج. أما المناهج القليلة المتوفرة في الدراسات العليا، فهي «محاولات شخصية ذاتية»**.

وفضلا عن ذلك، لا بد أن تستجيب المناهج المعتمدة في تعليمية الترجمة للأهداف المسطرة في البرامج الجامعية، وتأخذ في الحسبان مواصفات المتعلّم والظروف التي سيتم فيها تدريس الترجمة، فإذا تعلق الأمر بتدريس الترجمة لطلبة أقسام اللغات أو لمبتدئين في الترجمة، يمكن اعتماد المناهج اللغوية الكلاسيكية القائمة على المقارنة بين اللغتين المنقول منها والمنقول إليها من خلال تمارين الترجمة، ولكن إن تعلق الأمربتدريس الترجمة كتخصص، فلا بد من اعتماد مناهج تُعنى بمسار الترجمة وبالعوامل الاجتماعية والتواصلية والبراغماتية المحيطة بالنص المراد ترجمته.

ترى كريستين دوريو Christine DURIEUX (2005: 36) أن تعليم الترجمة يرمي إلى بلوغ أربعة أهداف رئيسة هي تعليم لغة أجنبية وتكوين معلمين لتدريس اللغات الأجنبية وتكوين مترجمين محترفين وتكوين مكوّنين في الترجمة، وبناءً على ذلك، لا بد أن يتماشى مضمون البرنامج الجامعي مع الهدف المسطر والظروف التي سيتم فيها التعليم.

فيما يخص الهدف الأول، يستند التعليم إلى المنهج التقابلي، وتُوظَّف الترجمة في هذا الإطار وسيلةً لتعليم اللغات الأجنبية. وأما التكوين المُصمَّم لمعلمي اللغات الأجنبية، فترى دوريو (م.ن: 39) أنه لا بد أن يركّز على المهارة skills عوض المعارف knowledge، أي على طريقة توظيف المعارف المكتسبة، ذلك أنه يُفترض أن يمتلك المتعلّمون معارف لغوية مسبقة قبل مباشرة التكوين.

وأما التعليم الرامي إلى تكوين مترجمين مهنيين، فينصب فيه اهتمام المعلّم على المناهج التأويليةالتي تدعو المتعلم إلى تحليل النص المراد ترجمته وتأويله قبل مباشرة الترجمة، وفي هذا الصدد، تنصح دوريو (2005: 42) بتوظيف النظرية

التأويلية للترجمة التي تركّز على أهمية نقل المعنى المراد من خلال ثلاث مراحل رئيسة هي فهم النص الأصل بالاستناد إلى معارف لغوية وغير لغوية وبالرجوع إلى السياق المعرفي والثقافي للنص، وتحصيل المعنى ومن ثم إعادة صياغته بما يتماشى وسمات اللغة المنقول إليها. غير أنه يمكن توظيف مقاربات ونظريات ترجمية أخرى تسلط الضوء على مظاهر أخرى من مظاهر الترجمة.

ولتحقيق الأهداف المتوخاة من تعليم الترجمة وضمان تكوين نوعي، لا بد من إعداد المتعلم لممارسة مهنته على أكمل وجه من خلال عرض نصوص أصلية عليه، وفي هذا السياق، تسوق دوريو مثال مدرسة الترجمة التحريرية والفورية بجنيف حيث تُدرَّس الترجمة القانونية والترجمة الاقتصادية والترجمة المؤسساتية فقط، نظرالوجود منظمات دولية بحاجة إلى هذه التخصصات، وعليه، يستجيب محتوى البرنامج الجامعي لمتطلبات السوق أساسا.

وفيما يخص التعليم المُخصّص لتكوين مكوّنين في الترجمة، ترى دوريو (2005: 44) أنه يقتضي اعتماد المقاربات نفسها المتبناة في النوع الثالث، ولكنها أشارت إلى أن الأشخاص الذين يضطلعون بهذه المهمة لم يتلقوا غالبا تعليما منهجيا مناسبا، كما أنهم ليسوا مترجمين مهنيين في معظم الحالات، فهم غالبا يدرّسون اللغات ويتخصّصون بعدها في الترجمة، وبالتالي لا بد من توعيتهم بضرورة تطبيق مقاربات منهجية تبتعد عن المناهج اللغوية البالية، كما لا بد أن تُختار النصوص المتعامَل معها بدقة وعناية فائقتين، بحيث تطرح ترجمتها صعوبات مختلفة قد تكون لغوية أو ثقافية أو تركيبية أو تقنية، والأهم من ذلك، لا بد أن تُدرج مادة تعليمية الترجمة في البرنامج الجامعي لما لها من أهمية في توجيه المتعلم وتكوينه.

يرى شكيب بنيني Chakib BNINI (2016: 90) أن الدراسات التي أجريت بخصوص تعليمية الترجمة تمحورت حول مضمون البرامج الجامعية وطرائق التدريس ومناهج الترجمة، ففيما يخص البرامج الجامعية، لقد أشار (م.ن: 91) إلى غياب توافق في الآراء حولضرورة إدراج بعض المواد مثل نظرية الترجمة والتحسين اللغوي واللسانيات،

ذلـك أن بعضمعاهـد الترجمـة ومدارسـها تميـل إلى تقديـم تكويـن متخصـص في الترجمـة، في حـين تمنـح معاهـد أخـرى تكوينـا عامـا في إطـار تخصـص اللغـات التطبيقيـة، وفيـما يتعلـق بمناهـج الترجمـة، يميـز(م.ن، ص.ن) بـين النمـوذج النحـوي grammatical model والنمـوذج الثقـافي cultural model والنمـوذج التأويـلي interpretive model، ولقـد أدرج النموذجـين الأولـين ضمـن المقاربـات غـير النصيـة كونهـما يعنيـان با-لكلمـة المفـردة أو الجملـة المنعزلـة عـن السـياق، في حـين وضـع النمـوذج الأخـير في إطـار المقاربـات النصيـة.

تعتـبر الترجمـة وفـق النمـوذج النحـوي مجـرد عمليـة لغويـة يتـم فيهـا اسـتبدال الكلـمات والبنـى التركيبيـة بمـا يقابلهـا في اللغـة المنقـول إليهـا، وتنـدرج في إطـاره الطريقة النحويـة التقليديـة the traditional grammar methodوالطريقـة النحويـة الشـكلية the formal grammar method (BNINI, 2016 : 97).

تقـوم الطريقـة النحويـة التقليديـة عـلى النحـو التقابـلي، حيـث يتـم تشـجيع المتعلـم عـلى إيجـاد مقابـلات للوحـدات النحويـة والمعجميـة للغـة المنقـول منهـا (.loc cit)،وتُعتمَـد هـذه الطريقـة في تدريـس اللغـات الأجنبيـة، حيـث ينصـب اهتـمام المعلّـم عـلى اللغـة مـن خـلال ترجمـة جمـل منعزلة،وبعـد القيـام بالترجمـة، يتمتسـليط الضـوء عـلى الأخطـاء التـي وقـع فيهـا المتعلـم ليقـترح بعـد ذلـك عليـه المعلـم ترجمـة نموذجيـة، غـير أن هـذه المقاربـة لا تخـدم المتعلـم، كونهـا تضـع المعلـم موضـع الاهتـمام، وأمـا الطريقـة النحويـة الشـكلية (BNINI, 2016 : 98)، فيتـم فيهـا تحليـل المسـتويات الصوتيـة والصرفيـة والتركيبيـة للغـة. وعليـه، يقـوم النمـوذج النحـوي عـلى إيجـاد المقابـلات بـين اللغتـين المنقـول منهـا والمنقـول إليهـا.

غـير أن هنـاك منظريـن أشـاروا إلى محاسـن النمـوذج النحـوي، إذ تـرى كحيـل (2009: 12) أنـه يسـمح بتخطـي بعـض الصعوبـات اللغويـة والثقافيـة، وتفـادي التداخـل اللغوي الناجـم عـن الاحتـكاك الحاصـل بـين اللغات،وذلـك مـن خـلال لفـت انتبـاه الطلبـة إلى أوجـه الشـبه والاختـلاف بـين اللغـات. وفي السـياق ذاتـه، أكّـد ميشـال بـالار Michel

BALARD (1995 : 239) على أهمية التعليق في تعليمية الترجمة، كونه يساعد، في نظره، المتعلم على تطوير روح النقد لديه، حيث يُطلَب منه ترجمة نص معيّن ومقارنة ترجمته بترجمة منشورة أو ترجمة نموذجية يقترحها المعلم، حتى يتعرف على الأخطاء والهفوات التي وقع فيها، كما قد يُطلَب من المتعلم التعليق على ترجمتين مختلفتين لنص واحد بغية الكشف عن تقنيات الترجمة المُوظَّفة وهذا ما يسمى بالتعليق المقارن.

وفي ضوء النموذج الثقافي، يتحدَّد معنى الكلمة بالرجوع إلى السياق الثقافي الذي أُنتِجت فيه، وتندرج في إطاره طريقتين، تتمثل الطريقة الأولى في الطريقة الدلالية الإثنوغرافية ethnographical semantic method، وأما الثانية فهي طريقة التكافؤ الديناميdynamic equivalence method (BNINI, 2016 : 28-29).

تُبرز الطريقة الدلالية الإثنوغرافية الاختلافات الحاصلة بين الثقافات، وتسلط الضوء على مفهوم الفجوات الثقافية بين اللغات، وتسعى إلى اقتراح حلول لتخطي هذه العقبة كالتحليل الدلالي componential analysis (م.ن: 29)، فكلمة « tequi-la » على سبيل المثال يمكن أن تُنقَل «تيكيلا» أو تترجم «مشروب كحولي مكسيكي» باعتماد إستراتيجية التحليل الدلالي.وتظهر الفجوات الثقافية كذلك في ترجمة أسماء الألوان والقرابة.

وأما طريقة التكافؤ الديناميي، فتركّز على أهمية العودة إلى السياق اللغوي والسياق الثقافي أثناء الترجمة،أهمية ال وتَعتبر أن الهدف الأسمى للمترجم هو تحقيق التأثير المماثل بين اللغتين المنقول منها والمنقول إليها، بحيث يتم السعي إلى تحقيق التكافؤ أثناء الترجمة ومراعاة سمات اللغة المنقول إليها وذوق المتلقي وثقافته، وفي هذا الصدد، يسوق أنثوني بيم Anthony PYM(2010 : 7) مثال «Fri-day the thirteenth » (الثالث عشر من يوم الجمعة) الذي يعد يوما مشؤوما في الثقافة الإنجليزية، في حين أن اليوم الذي يكافؤه في الثقافة الإسبانية هو الثالث عشر من يوم الجمعة (martes y 13)، وبالتالي، تعد هذه الترجمة مكافئا للعبارة

الأصليـة.

ومـع أن النموذجـين النحـوي والثقـافي يكتسـيان أهميـة بالغـة في العمليـة الترجميـة، غـير أن وحـدة الترجمـة في إطارهـما تظـل الوحـدات اللغويـة الصغـرى أي الكلمـة أو الجملـة، مـما يحـول دون تمكـن المترجـم مـن نقـل المعنـى المـراد، نظـرا لتدخـل عـدة عوامـل أثنـاء الترجمـة قـد تكـون نصيـة أو ثقافيـة أو براغماتيـة.

وأمـا النمـوذج التأويـلي، فيجسّـد تحـوّلا مهـما في دراسـات الترجمـة، إذ أصبحـت الترجمـة في إطـاره عمليـة تواصليـة وتأويليـة، كـما انـصرف التركيـز في إطارهمـن الكلمـة أو الجملـة إلى النص،وينطـوي عـلى مقاربتـين همامقاربـة اللسـانيات النصيـة-text lin guistic approach والمقاربــة الهيرمينوطيقيــة

hermeneutic approach (BNINI, 2016 : 29).

يـرى بنينـي (م.ن: 30) أن المقاربـة الهيرمينوطيقيـة تضـع القـارئ موضـع الاهتـمام، إذ تعتـبر أن المعنىينبثـق مـن تأويلاتـه المختلفـة للنـص، ويتجـلى بربـط المعلومـات التـي يمنحهـا هـذا الأخـير بمعارفـه المسـبقة ومواقفـه ومعتقداتـه، لـذا فـلا وجـود لقـراءة واحـدة للنـص، بـل ثمـة عـدة قـراءات، فالهـدف مـن هـذه المقاربـة هـو توليـد معـانٍ جديـدة وليـس إعـادة إنتـاج معـاني النـص الأصـل، غـير أن هـذه النظـرة تتسـم بنـوع مـن الذاتيـة، ذلـك أنـه يجـب عـلى المترجـم ألا يـؤوّل النـص حسـب هـواه ومذهبـه، إذ لا بـد أن يتقيّـد بالموضوعيـة بالسـعي إلى اسـتيعاب المعنـى المـراد انطلاقـا مـما هـو مُـصرّح بـه في النـص، وبالاسـتناد إلى السـياق اللغـوي والسـياق الاجتماعـي والثقـافي والتاريخـي الـذي أُلِّـف فيـه.

وفي ضـوء مقاربـة اللسـانيات النصيـة (م.ن: 30-33)، يعد النصأداة اتصاليةتقتضيمرسـلا ومتلقيـا وسـياقا، والمترجـم، باعتبـاره قارئـا، لا بـد لـه أن يبـذل جهـدا تأويليـا ويـدرس سـياق النـص ويحلّـل سـماته، كـما عليـه أن يكـون عـلى درايـة تامـة بالمبـادئ التـي يقـوم عليهـا نظـم النـص وبنيتـه في اللغتـين المنقـول منهـا والمنقـول إليهـا لنجـاح العمليـة التواصليـة أثنـاء الترجمـة. وسـنتعرض فيـما يـأتي إلى أهـم المبـادئ التـي تقـوم عليهـا

اللسـانيات النصيـة لنبـيّن إسـهامها في تعليميـة الترجمـة.

4. اللسانيات النصية وتعليمية الترجمة

لقـد كان للسـانيات النصيـة أثـرًا عميقًـا في تطـور دراسـات الترجمـة، حيـث أصبـح النـص يحتـل بـؤرة اهتـمام المترجـم بعدمـا كان اهتمامـه منصبـا عـلى الكلمـة والجملـة، وتمثـل اللسـانيات النصيـة حقـلا شاسـعا تنـدرج في إطـاره عـدة اتجاهـات ونمـاذج، غـير أنـه سـنكتفي بذكـر أبرزهـا وتلـك التـي تمـت للترجمـة بصلـة.

يـرى باسـل حاتـم Basil HATIM ويـان ميسـون Ian MASON (1990) أنـه يمكـن ضـمان تكويـن فعـال في الترجمـة بالاسـتناد إلى اللسـانيات النصيـة، حيـث تُعـرض عـلى المتعلـم أنواعًـا مختلفـة مـن النصـوص ليتـم تحليـل سـماتها اللغويـة والدلاليـة والاجتماعيـة والبراغماتيـة وتحديـد الصعوبـات التـي تطرحهـا، مـما يمكنـه مـن إيجـاد اسـتراتيجيات الترجمـة الأمثـل، لأن الترجمـة عمليـة تواصليـة تتـم بـين منتـج النـص الأصل ومتلقيـه في سـياق اجتماعـي معـين، وهـذا مـا ذهـب إليـه شـاهين (1998 : 32) إذ يقـول: «**إن نظريـة الترجمـة التـي تعتمـد عـلى لغويـات النصـوص تأخـذ في الحسـبان جميـع عوامـل الاتصـال وتنظـر إلى الترجمـة كعمليـة تفاعـل بـين المؤلـف والمترجـم وقـارئ النـص الهـدف في حالـة حقيقيـة.**»

وعنـد تأليـف نـص معـين، يتـم دائمـا تسـطير أهـداف تواصليـة، ولبلوغهـا، يوظّـف المؤلـف أسـاليبًا نحويـة ومعجميـة ولغويـة معينـة، وبالمثـل، تخـدم الترجمـة أغراضـا معينـة كذلـك وتسـتجيب لتوقعـات الجمهـور المسـتهدف، لـذا يـرى حاتـم وميسـون (12 : 1990) أنـه لا بـد مـن النظـر إلى الترجمـة في سـياقها الاجتماعـي، وعليـه، يكتـسي السـياق أهميـة بالغـة في تحليـل النـص وترجمتـه، وهـذا مـا أشـار إليـه يوسـف نـور عـوض (1989 : 32) نقـلا عـن مايـكل هاليـدي Michael HALLIDAY ، إذ يعتـبر النـص «**في واقعـه الاجتماعـي عمليـة تفاعـل يتـم بواسـطتها تبـادل المعـاني، أي هـو نـوع مـن الحـوار بـين المتخاطبـين باللغـة وهنـا تـبرز (...) أهميـة محاولـة ربـط مفهـوم النـص بالسـياق ومعرفـة الكيفيـة التـي يكـوّن بهـا النـاس توقعاتهـم لمـا يـأتي في النـص مـن**

خطـاب.»

انطلاقا مـما تقـدم، يتـم تأويـل النصـوص وتحصيـل معناهـا بدراسـة مختلـف سـمات السـياق، ولكـن يجـب ألا يقتـصر ذلـك عـلى دراسـة السـياق اللغـوي للكلـمات، بـل لا بـد مـن الرجـوع إلى ظـروف إنتـاج النصـوص أو مـا يُعـرف بسـياق المقـام-context of situation، إذ يتـم إدراك المعنـى المـراد في رسـوم الكاريكاتـير والخطـاب الـذي يرافقهـا، عـلى سـبيل المثـال، بالاسـتناد إلى سـياق المقـام والسـياق الاجتماعـي والسـياسي والاقتصـادي.

ويتسـم السـياق بثلاثـة مظاهـر (HATIM & MASON, 1990 : 49) هـي مجـال الخطـاب field، ونـوع الخطـاب mode، والمشـتركون في الخطـاب tenor.

يتمثـل مجـال الخطـاب في الموضـوع المُشـار إليـه أو المتحـدَّث عنـه وطريقـة تمثيلـه (م.ن: 39)، فقـد يتعلـق الأمـر بالمصطلحـات المرتبطـة بالموضـوع والصيـغ المسـتعملة، ففـي المجـال الطبـي عـلى سـبيل المثـال، يتـم توظيـف مصطلحـات وعبـارات متخصصـة كـما يتـم اللجـوء إلى صيغـة المبنـي للمجهـول غالبـا.

وأمـا نـوع الخطـاب، فيشـير إلى الوسـيلة المسـتعملة التـي قـد تكـون مكتوبـة أو منطوقـة، رسـمية أو غـير رسـمية (loc.cit)، وينصـب اهتـمام الباحـث هنـا عـلى دراسـة سـمات النـوع المُتطـرَّق إليـه والأسـاليب الموظفـة فيـه، ففـي مجـال الترجمـة السـمعية البصريـة مثـلا، لاسـيما السـترجة subtitling، يتـم الانتقـال مـن الخطـاب المنطـوق إلى الخطـاب المكتـوب، وبالتـالي، قـد يتعـين عـلى المترجـم تغيـير بعـض الأسـاليب اللغويـة مراعـاةً لنـوع الخطـاب المسـتعمل، فقـد يتعـيّن عليـه ترجمـة بعـض العبـارات العاميـة بعبـارات فصيحـة، كـما قـد يتعـين عليـه حـذف بعـض العنـاصر كونهـا تُـدرَك مـن خـلال الصـورة أو الصـوت.

وفيـما يخـص مفهـوم المشـتركين في الخطـاب، فيتعلـق الأمـر بطبيعـة العلاقـة القائمـة بـين المتخاطبـين (HATIM and MASON, 1990 : 49)، فثمـة اسـتعمالات لغويـة كعبـارات المخاطبـة والاحـترام توحـي بالرسـمية أو غـير الرسـمية بـين المتخاطبـين، كـما ثمـة سـمات معجميـة ونحويـة ونطقيـة توحـي بانتـماءات المتخاطبـين الاجتماعيـة

والجغرافيــة.

وعليــه، عنــد تعــرّض متعلمــي الترجمــة لنــص معــين، لا بــد مــن لفــت انتباههــم إلى أهميــة تحليــل العنــاصر والســمات المذكــورة لإنتــاج ترجمــة ســليمة يستســيغها المتلقــي، ولا تتنــافى وثقافتــه والأنظمــة الأســلوبية التــي تحكــم لغتــه، ذلــك أن المتخاطبــين يختلفون في طريقــة اســتعمالهم للغــة، وقــد يتجــلى هــذا التبايــن في الاســتعمال، كــما قــد يظهــر لــدى المســتعمل.

فيــما يخــص التبايــن الــذي يتجــلى في الاســتعمال اللغــوي، لا بــد أن يتــماشى الخطــاب مــع ســياق المقــام الــذي سيُســتعمَل فيــه، إذ يقــول هاليــداي وآخــرون& in HATIM) MASON, 1990: 46) في هــذا الصــدد:

" (…)when we observe language activity in the various contexts in which it takes place, we find differences in the type of language selected as appropriate to different types of situation."

«حــين ننظــر إلى النشــاط اللغــوي في مختلــف الســياقات التــي يتــم فيهــا، نلاحــظ اختلافــات في نــوع اللغــة الــذي يتــم اختيــاره بحســب مختلــف أنــواع المقامــات.» (ترحمتنــا)

وقــد تتجــلى هــذه الاختلافــات عــلى مســتوى مظاهــر الســياق المشــار إليهــا، أي في مجــال الخطــاب أو نوعــه أو في الاســتعمال اللغــوي للمشــتركين في الخطــاب، وبالتــالي، فــكل مقــام يفــرض اســتعمالات وأســاليب معينــة بحســب الأعــراف المُتفــق عليهــا، فعنــد إيــداع دعــوى قضائيــة لــدى المحكمــة مثــلا، لا بــد أن تســتجيب لــشروط محــدّدة مــن حيــث الشــكل والمضمــون، وعنــد ترجمتهــا إلى اللغــة الإنجليزيــة، عــلى ســبيل المثــال، لا بــد أن يكــون المترجــم عــلى درايــة بالأعــراف المعتمــدة في النظــام القانــوني للبلــد المُســتقبِل ويراعيهــا لنجــاح العمليــة التواصليــة.

وأمــا التبايــن الــذي يظهــر لــدى المُســتعمِل، فقــد يتجســد عــلى المســتوى الصــوتي أو المعجمــي أو التركيبــي، إذ تميــل بعــض الجماعــات اللغويــة إلى نطــق الكلــمات بطريقــة

معينة واستعمال عبارات وتراكيب عامية رغبةً منها في تكريس انتماءاتها الاجتماعية والجغرافية، ومن أهم أشكال هذه الاختلافات اللغوية اللهجة الجغرافية واللهجة الاجتماعية واللهجة الفردية، فهذا التباين يسمح بتمييز فرد عن غيره من الأفراد، وخير مثال على ذلك الأفلام السينمائية التي يجنح فيها المنتج وكاتب النص السينمائي إلى خلق تباين في خطاب الشخصيات في سبيل تجسيد هويتها واختلافها وخلفياتها.

ولا ريب في أن هذه السمات تطرح صعوبات كبيرة على المترجم، لاسيما حين تحمل معانٍ إيحائية وأبعادا ثقافية في الخطاب، إذ يتعذّر عليه تحقيق تكافؤ بين اللغة المنقول منها واللغة المنقول إليها، كون الأخيرة قد تتوفر على عدة لهجات وبالتالي قد يتعذر اختيار اللهجة الأمثل، وفضلا عن ذلك، تختلف المعاني التي توحي بها هذه السمات اللغوية من ثقافة إلى أخرى، ويقول حاتم وميسون (1990 : 57) في السياق ذاته:

"in certain cases, expression of intended meaning is subject to subtle variation between SL and TL text norms and equivalence may therefore be more difficult to achieve."

«في بعض الحالات، يخضع التعبير عن المعنى المراد لاختلاف طفيف بين أعراف النص في اللغة المنقول منها واللغة المنقول إليها، وبالتالي، قد يكون تحقيق التكافؤ أصعب.» (ترجمتنا)

وفضلا عما تقدم، لقد حددترقية حسن : Ruqaiya HASAN (in BNINI, 2016 (39 سمتين تسمحان بالتمييز بين النص text وغير النص non text، وهما البنية structure والنظم texture.البنية النص وثيقة الصلة بسياق المقام (idem : 40)، وهي بالتالي تخضع للعناصر المشار إليها (مجال الخطاب ونوعه والمشتركين)، إذ يوظِّف مستعملو النصوص بُنى معينة بناءً على طبيعة الموضوع المتطرَّق إليه ونوع الخطاب واستنادا إلى نواياهم.

وعليه، قد يتعين على المترجم إجراء بعض التغييرات على مستوى بنية النص الأصل، ولكن شرط أن يتم ذلك بناءً على أسس علمية ومعايير نصية، وفي هذا الصدد، يؤدي نوع النص والهدف من الترجمة دورا محوريا في مسار اتخاذ القرارات، فإذا تعلق الأمر بنص تعبيري مثلا كالنص الشعري، على المترجم أن يقوم بتعديلات بنيوية عميقة لإحداث الأثر المماثل.

وأما عنصر النظم، فيعد من أبرز السمات التي تضمن وحدة النص وتماسكه (BNINI, 2016 : 40)، فهو الذي يربط بين أجزائه لتتشكل علاقات معنوية فيما بينها، فالنص لا بد أن يكون منسجما من حيث استمرارية الموضوع، ومتسقا من حيث ترابط أجزائه، فالانسجام coherence والاتساق cohesion مظهران من مظاهر النظم.

ولقد تبين لنا من خلال تجربتنا في مجال تدريس الترجمة أن معظم الأخطاء التي يقع فيها المتعلمين ناجمة عن عدم مراعاة معياري الانسجام والاتساق، لذا غالبا ما ترد ترجماتهم في شكل جمل منعزلة عديمة المعنى، لذا بات لزاما على المعلمين لفت انتباه الطلبة إلى طريقة بناء النص وتشكيله.

وعليه، تؤدي اللسانيات النصية دورا مهما في تعليمية الترجمة، كونها لا تكتفي بالإشارة إلى الاختلافات القائمة بين اللغات، بل تُعنى كذلك بطريقة بناء النص وتدرسه في سياقه الاجتماعي، ما من شأنه أن يساعد المترجم على إنتاج ترجمة سليمة تراعي توقعات المتلقي والأنظمة الأسلوبية والثقافية التي تقوم عليه لغته، وتجدر الإشارة إلى وجود نماذج أخرى تندرج في إطار اللسانيات النصية ولا تقل أهمية عن نموذج حاتم ومايسون الذي تطرقنا إليه، وتتمثل أساسا في نموذج جوليان هاوس Juliane HOUSE الذي عُني بمعايير تقويم جودة الترجمات، ونموذج دي بوغراند DE BEAUGRANDE الذي تطرق إلى معايير النصّانية textuality، وهما يلتقيان مع النموذج المتطرق إليه في عدةمواطن.

خاتمة:

نخلص مما تقدم إلى أنه من شأن اللسانيات النصية أن تضمن تكوينًا فعالاً في مجال تدريس الترجمة، ذلك أنها ترشد المتعلم في مرحلتي تحليل النص الأصل وإعادة صياغته في اللغة المنقول إليها، وهي لم تقتصر على تحديد السمات التي يتعين على المترجم تحليلها، بل عُنيت كذلك بالعناصر التي تحكم وحدة النص، كما تعاملت مع النص في علاقته بالسياق الاجتماعي وفي أبعاده التواصلية والبراغماتية والسيميائية.

ومع ذلك، يبقى حقل تعليمية الترجمة يشكو من بعض النقائص بفعل غياب نظرة موحدة وواضحة المعالم بخصوص المناهج الواجب اعتمادها، كما أن توظيف معلمين من غير الاختصاص بالإضافة إلى تدنّي المستوى اللغوي للمتعلم حالا دون ضمان تكوين فعال، لذا أصبحت الحاجة إلى معلمين مؤهلين ومختصين من ذوي الخبرةأمرا ملحا.وفضلا عن ذلك، لا بد أن يستجيب مضمون المادة المُدرَّسة للأهداف المتوخاة من التكوين ولمتطلبات السوق.

قائمة المصادر والمراجع

باللغة العربيّة:

- شـاهين، محمـد (1998). **نظريـات الترجمـة وتطبيقاتهـا في تدريـس الترجمـة مـن العربيـة إلى الإنجليزيـة وبالعكـس**، عـمان الأردن: مكتبـة دار الثقافـة للنـشر والتوزيـع.
- كحيـل، سـعيدة (2009). **تعليميـة الترجمـة: دراسـة تحليليـة تطبيقيـة**، الأردن: عـالم الكتـب الحديـث.

باللغة الأجنبية :

- Ballard, M. (1995). Histoire et didactique de la traduction. *TTR: traduction, terminologie, rédaction*, *8* (1), 229-246.
- تاريخ الزيارة: 15 فيفري 2019
- Bnini, C. (2016). Didactics of Translation: Text in Context. Cambridge ScholarsPublishing.
- Durieux, C. (2005). L'enseignement de la traduction: enjeux et démarches. Meta: journal des traducteurs/Meta: Translators' Journal, 50(1), 36-47.
- تاريخ الزيارة: 10 فيفري2019.
- Scholl, L. (2016). Translation, Authorship and the Victorian Professional Woman: Charlotte Brontë, Harriet Martineau and George Eliot. Routledge.
- Hatim, B., &Mason, I. (2014). Discourse and the Translator. Routledge.
- Ladmiral, J. R. (2011). De la traductologie à la didactique de la traduction. Equivalences, 38(1), 53-69.
- تاريخ الزيارة: 05 فيفري 2019
- Pym, A. (2017). Exploring translation theories. Routledge.